Journal of STEPS for Humanities and Social Sciences

Volume 2 | Issue 2 2023

Attitude of Eastern Christians on First Crusade

Hussen Obaid Hamad

College of Islamic Sciences, Tikrit University, Tikrit, Iraq

dr.hussein@tu.edu.iq

Received: 22/04/2022, Accepted: 09/12/2023, Published: 19/08/2023

DOI: 10.33687/jshss.002.02.0013

This is an open access article under the CC-BY-NC-ND license.

Abstract

The opinions of researchers differed about the attitude of Christians in the East during the Islamic-Crusader conflict. Some of them considered their position to favor the Muslims against the Crusaders, while, others believed the opposite. In fact, supported by sources and facts, we find that the two opinions are not accurate, but their position changed from time to time according to the data of events. The cooperation of the eastern Christians with the Crusaders began to expand. In addition to the Byzantines, the Armenians joined them, by giving advice to the Crusaders and providing them with experts to guide them on the easiest and shortest way to their experience in the region. The Armenians and Greeks of Tarsus begged Tancred to seize their city. The Armenian ruler of Edessa was (Thoros), who was satisfied with the arrival of the Crusaders, Therefore, he sent an ambassador to Tel-Basher to Baldwin, urging him to come, and he will take Baldwin as his son and heir. Therefore, Baldwin entered Edessa, and its people, ruler, and Armenian clergy welcomed him with great glee, then he established his first Crusader principality in the East. The Christians in Palestine saw that it was better for them to be under the rule of Muslims than to become under the rule of the Franks, but some Eastern Christians kept their cooperation with the Crusaders. When the campaign army was marching towards Jerusalem, messengers came to the princes from the city of Bethlehem, asking them to rid them of the Muslims. Tancred and Baldwin hurried to Bethlehem. And the people of the city came out in procession, carrying religious relics and crosses from the Church of the Nativity, to welcome their saviors.

Keywords: Attitude, Christians in the East, Crusaders campaigns, Armenian.

DOI: 10.33687/jshss.002.02.0013

This is an open access article under the CC-BY-NC-ND license.

موقف نصارى الشرق من الحملة الصليبية الأولى

ا.م.د. حسين اعبيد حمد[1]*

[1]* استاذ مساعد دكتور، كلية العلوم الاسلامية، جامعة تكريت, تكريت، العراق.

الخلاصة

اختلفت أراء الباحثين حول موقف النصارى في الشرق من الصراع الإسلامي– الصليبي، فبعضهم يعتبر إن موقفهم كان مؤيداً للمسلمين ضد الصليبيين، والبعض الآخر اعتقد العكس، وفي الحقيقة التي تدعمها المصادر والوقائع، نجد إن الرأيين غير دقيقين، بل كان موقفهم يتغير من حينٍ إلى آخر حسب معطيات الأحداث .بدأ تعاون المسيحيين الشرقيين مع الصليبيين يتسع نطاقه فبالإضافة إلى البيزنطيين دخل على الخط الأرمن الذين أخذوا يقدمون النصائح للصليبيين ويمدونهم بالإدلاء ليهدوهم إلى أسهل واقصر الطرق لخبرتهم بالمنطقة، وتوسل سكان مدينة طرسوس من الأرمن واليونانيين بتانكرد أن يستولي على مدينتهم. كان حاكم الرها الأرمني (ثوروس)، الذي كان ينظر بعين الرضا إلى وصول الصليبيين، لذلك بعث بسفارة إلى تل باشر إلى بلدوين يستعجله بالقدوم وان ثوروس سوف يتخذ من بلدوين ابناً ووريثاً له، وسوف يبادر إلى اختياره قسيماً له في حكم بلاده، فدخل بلدوين الرها واستقبله أهلها وحاكمها ورجال الدين الأرمن بغبطة بالغة، وأقام أول إمارة صليبية في الشرق . رأى النصارى في فلسطين خيراً لهم أن يكونوا تحت حكم المسلمين من أن يصبحوا تحت حكم الفرنجة، لكن بعض النصارى الشرقيين ماضون في تعاونهم مع الصليبيين، فعندما كان جيش الحملة يسير متجهاً إلى بيت المقدس قدم الرسل إلى الأمراء من مدينة بيت لحم، يطلبون من الصليبيين أن يخلصوهم من المسلمين، فأسرع تانكرد وبلدوين لي بور، إلى بيت لحم، فخرج سكان المدينة في موكب، يحملون المخلفات الدينية والصلبان من كنيسة المهد، للترحيب بمنقذيهم ولثم أيديهم .

الكلمات المفتاحية: شيخ زادة، نكاح ، المرأة ، ولي .

1. المقدمة

يلاحظ على المصادر والمراجع بشأن الحروب الصليبية أن المصادر العربية قد أقلت من ذكر دور نصارى الشرق في الحملة الصليبية الأولى وتأثيرهم على نتائج الحملة واكتفت بذكر إشارات بسيطة عن بعض الحوادث التي ترتبط بنصارى الشرق أثناء قيام الحملة، أما المؤلفات الأجنبية فقد توسعت في سرد أحداث الحملة الصليبية الأولى .

لقد كان الدافع وراء اختيار هذا البحث للاطلاع على موقف نصارى الشرق من الصراع الإسلامي الصليبي، إذ اخذ البحث جانبا محددا من هذا الموضوع، ومن ذلك اتخذ البحث اسمه (موقف نصارى الشرق من الحملة الصليبية الأولى)، البحث سلط الضوء على الدور الكبير الذي قام به نصارى الشرق من البيزنطيين والأرمن والسريان وغيرهم في تسهيل مهمة الحملة وتقديم الدعم لها في كافة الظروف والمواقف والمشاركة الفعلية في احتلال المدن الإسلامية، فقد تم تسليم الرها للصليبيين من قبل حاكمها الأرمني ثوروس، وفتحت أنطاكية بفضل خيانة رجل من الأرمن، واستمر الدور نفسه يرافق الحملة الصليبية الأولى حتى تم احتلال بيت المقدس واحتلت طرابلس، وهذا التعاون كان من شأنه أن يضعف موقف المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي .

1 . 1 مشكلة البحث :

في اغلب المجتمعات القديمة والحديثة توجد أكثرية سكانية وتوجد أقلية أو أقليات، وفي أحياناً كثيرة تتسبب إدارة الدولة في خلق صراع أو عدم انسجام بين الأكثرية والأقليات عن قصد أو بسبب سوء الإدارة فتتحول هذه الأقليات إلى أداة يستغلها الأعداء في النيل من الدولة، ومن خلال العرض لدور نصارى الشرق في إنجاح الحملة الصليبية الأولى نلفت الانتباه

DOI: 10.33687/jshss.002.02.0013
This is an open access article under the CC-BY-NC-ND license.

إلى معالجة مشكلة الأقليات في الدول الحديثة وخاصة في الشرق الأوسط، إذ ركزت السياسة الدولية على إثارة مشكلة الأقليات في هذه الدول بين الحين والآخر لتنفيذ سياساتها في تلك الدول .

1 . 2 منهج البحث :

في منهج البحث عرضت النصوص الواردة في المصادر العربية وما يقابلها من الروايات التي ذكرتها المراجع الأجنبية المترجمة مع التحليل والمقارنة، مع التعريف بالأماكن غير المشهورة ما أمكن ذلك والترجمة لأغلب الأعلام العربية الواردة في البحث .

1 . 3 خطة البحث :

اقتضت خطة البحث تقسيمه بعد المقدمة إلى تمهيد وأربعة مباحث تم تقسيمها على النحو الآتي : تمهيد:

المبحث الأول : علاقات نصارى الشرق فيما بينهم وبالمسلمين قبل الحروب الصليبية .

المبحث الثاني : موقف نصارى الشرق من إقامة الإمارة الصليبيةالأولى [الرها] .

المبحث الثالث : موقف نصارى الشرق من احتلال انطاكيا .

المبحث الرابع : موقف نصارى الشرق من احتلال بيت المقدس وطرابلس، وأخيراً الخاتمة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

2 . التمهيد :

إن وجود النصارى في بلاد الشام يعود إلى ما قبل الفتح الإسلامي بقرون وهم يتبعون الكنيسة الشرقية، وكانوا من رعايا الدولة البيزنطية وكان المؤرخون المسلمون الأوائل يطلقون على بعضهم اسم (النبط)[i] ويطلق عليهم مؤرخو النصارى المتأخرين اسم (السريان)[ii]، وكانوا يشكلون نسبة لا بأس بها من سكان بلاد الشام عموماً ومدن الساحل خصوصاً، واستمر النسيج السكاني على هذا النحو حتى بداية الحروب الصليبية دون تعديلات تذكر، بل إن مدينة طرابلس كانت تحت حكم امرأة نصرانية نبطية أثناء الفتنة الكبرى التي عصفت بالدولة العباسية وصراع الأخوين الأمين والمأمون على الخلافة (195-198هـ / 808-811م) وتدعى هذه المرأة (اسطاوا) حسب ما ذكر بن عساكر[iii].

إن فكرة الحروب الصليبية ليس بدعة عصرها بل هي امتداد لصراع طويل الأمد بين الشرق والغرب[iv] ينشط حيناً ويهدأ حيناً آخر، إن الزمن القريب من عصر تلك الحروب الصليبية شهد مواجهات بين الغرب والشرق تمثلت في حملة الفتوحات العربية الإسلامية ففي سنة (637م – 15هـ) اندلعت حروب (فتح) بلاد الشام التي كان من نتائجها إنهاء السلطة السياسية المسيحية البيزنطية على بلاد الشام أما الوجود المسيحي في بلاد الشام لم يحاول المسلمين العمل على إنهاءه، حيث انتبه إلى هذه المسالة الخليفة عمر بن الخطاب عندما حضر لاستلام مفاتيح بيت المقدس ولم يصلِ في كنيسة القيامة عندما أدركته الصلاة وهو في داخلها رغم إلحاح البطريك على صلاته فيها، انتبه إلى أن لا يؤصل لأمر إنهاء وجود النصارى في الشام ووجود مقدساتهم إذ إنه خشي أن يتخذ المسلمين بعد من صلاته في كنيسة القيامة دليلا على دخولها ضمن الأوقاف الإسلامية فلم يصلِ فيها وهذا ما حدث بالفعل فقد امتدت سيطرة المسلمين إلى حد المكان الذي صلى فيه عمر بن الخطاب عند باب الكنيسة[v].

ولم تقف الأمور عند هذا الحد بل اخذ التوسع الإسلامي يمتد غرباً إلى مصر وشمال إفريقيا حتى عبر البحر نحو اسبانيا وفتحها وكون إمارة الأندلس الإسلامية واخذ هذا التوسع يهدد الغرب تهديداً مباشراً[vi]، إذن لم تكن الحروب الصليبية في احد أسبابها إلا ردة فعل على ذلك الفتح الإسلامي[vii] وان جاءت متأخرة لقرون، إن الفتوحات الإسلامية كانت تحز في نفوس النصارى وكان اثر هذه الفتوحات يحملهم على الحقد والبغض أكثر من الإعجاب والخوف ولهذا كانوا يتحرقون شوقاً إلى اليوم الذي يستطيعون فيه دحر الإسلام والأخذ بالثأر وإرجاع النفوذ النصراني إلى مناطق غنية بقيمها الروحية والمادية وكانوا يتأهبون للوقت المناسب للقيام بذلك[viii]، ويمكن القول انه لولا قيام الحروب الصليبية في هذا الوقت بالذات، وانشغال السلاجقة مع الصليبيين لوقعت الدولة البيزنطية في قبضة هذا العنصر التركي[ix] .

3 . المبحث الأول : علاقات نصارى الشرق فيما بينهم وبالمسلمين قبل الحروب الصليبية :

DOI: 10.33687/jshss.002.02.0013

This is an open access article under the CC-BY-NC-ND license.

في سنة (1064 م– 457هـ) تعرضت للدمار أنى حاضرة أرمينيا قديماً، وتقدم عن طيب خاطر أمير قادس، الذي يعتبر آخر أمراء الأرمن المستقلين فسلم إلى الإمبراطور البيزنطي كل أراضيه مقابل الحصول على بعض الضياع بجبال طوروس[x] فصحبه إلى موطنه الجديد أعداد كبيرة من الأرمن[xi]، ولما اشتدت غارات السلاجقة وغزواتهم غادر مواطنهم حشد متصل من الأرمن، فلحقوا بتلك المنازل الجديدة[xii]، وإن تجمع الأرمن في هذا الموطن أهلهم للعب دور مهم في أحداث الحملة الصليبية الأولى، خاصة وإن الأرمن ناقمون على الطرفين على المسلمين وخاصة السلاجقة وعلى البيزنطيين، كون الأرمن تتعارض مصالحهم مع الطرفين لذلك كانوا واقعين بين مطرقة السلاجقة وسندان الإمبراطورية البيزنطية مما ولد لديهم شعور قدوم الحملة الصليبية سوف يؤدي إلى تغيير أوضاعهم أو تحقيق أمانيهم .

إن الخلافات بين أبناء السلاطين السلاجقة في الشام جعل كل واحد منهم يستقل في إمارته وكذلك كبار القادة العسكريين السلاجقة وبعض السادة العرب، هذا الحال من الفرقة والاختلاف إن لم تكن بيزنطة في وضع يسمح لها بالاستفادة منه كي تستعيد سلطتها على سوريا فإن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة لرعاياها القدامى من الأرمن الذين كونوا لأنفسهم ما بين سوريا وبلاد ما بين النهرين العربية واسيا الصغرى التركية وكل جبال طوروس مناطق مستقلة عملياً وهي تضم الرها وملطية[xiii].

إن نصارى الشرق لم يكونوا هدفا للمسلمين لنصرانيتهم ومن ذلك إن المعارك التي جرت للاستيلاء على بيت المقدس بين الفاطميين والسلاجقة سنة (1076م–469هـ) فان القائد السلجوقي إتسز[xiv] الذي سيطر على بيت المقدس عين عليها حاكماً رجلا من اليعاقبة[xv] ولم يعين عليها رجلا مسلما وحصلت مذابح عظيمة لم ينجوا منها إلا المسيحيون لاعتصامهم في حيهم ولم يتعرض المسيحيون لكراهية خاصة[xvi]، رغم ذلك أصبحت رحلت الحج بالنسبة للنصارى بالغة المشقة إذ انعكست خلافات أمراء السلاجقة واستقلال كل أمير منهم بمنطقة وإعلان إمارته الخاصة مهما كانت صغيره انعكست على الحجاج المسيحيون إذ إن كل أمير تقاضى رسوماً على المسافرين الذين اجتازوا مدينته مهما كانت صغيرة[xvii].

ويمكن القول إن السلاجقة والفاطميين كانوا اقل تسامحا مع الزوار النصارى إذا قيسوا بالعهود السابقة، وقد استغلت هذه الشكاوى لإثارة الحماس الديني للمحاربين الصليبيين[xviii]، وبما إن الصليبيين قد وصلوا إلى الشرق غداة غزو الترك (السلاجقة) وكانت أوربا في القرن الحادي عشر قد تعودت على أن تنظر للأتراك على إنهم يضطهدون الشعوب المسيحية، فقد أصبح تقليدياً أن يعزى إليهم تفاقم مصير المسيحيين مما قد يكون السبب في نشوب الحرب الصليبية[xix]، قام السلاجقة سنة (1097م – 491هـ) بسجن بطريك أنطاكيا [يوحنا] وقام الفاطميون بعد أن سيطروا على بيت المقدس سنة (1099م – 493هـ) بطرد البطريك سيمون وغيره من الأعيان[xx]، لكن يمكن اعتبار كلتا الحالتين من باب ردة الفعل إذ كان في حينها الصليبيون على الأبواب قادمون بحملتهم إلى الشرق أو من باب الإجراءات الاحترازية خشية التعاون بين هؤلاء والصليبيين .

تعمقت الخلافات بين نصارى الشرق ووصلت إلى حد المواجهة بحيث أصبح روسل يشكل خطراً على الإمبراطور البيزنطي يفوق خطر السلاجقة، لذلك حشد الإمبراطور العساكر بقيادة ابن عمه القيصر يوحنا دوكاسل قتال روسل فالتقى بهم قرب عمورية فأنزل بهم هزيمة ساحقة وأسر القيصر يوحنا دوكاسل . وزحف إلى القسطنطينية، وإذ استبد اليأس بميخائيل لم يسعهإلا أن يطلب النجدة من القوة الوحيدة التي يمكن أن تقدم له المساعد وهم السلاجقة، فأرسل سفارة إلى السلطان السلجوقي سليمان الذي بدوره وعد بتقديم المساعدة للإمبراطور شرط أن يتنازل الأخير له عن الأقاليم التي احتلها شرقي الأناضول، وعلى هذا الأساس حرك السلاجقة جيشهم الذي جعل روسل يتراجع ويستعد للقاء السلاجقة وعند اللقاء طوق جيش السلاجقة عساكر روسل على جبل صوفون[xxi].

وان الاختلاف المذهبي زاد من حدة النزاع بين النصارى الشرقيين فان الخلاف بين الكنائس الأرثوذكسية واليعقوبية والأرمنية زاد في اضطراب الأمن في شمال الشام، ولقي تداعي سلطة بيزنطة الارتياح لدى الأرمن، وكان الأرمن يؤثرون حكم السلاجقة عليهم[xxii]،إن زوال الحماية البيزنطية كان مفيداً للحجاج غير البيزنطيين مثلما كان الحال بالنسبة للمسيحيين المحليين[xxiii]، وان هذا الاختلاف وعدم الانسجام بين نصارى الشرق جعل جبهتهم غير موحدة أمام طموحات كنيسة روما التي ترغب بضم كنائس الشرق تحت نفوذها خاصة وان نصارى الشرق وهم كثر خاصة في الهلال الخصيب لم يكونوا ذوى انتماء كنسي واحد بخلاف الصليبيين الأوائل، ولم تكن أي طائفة منهم تابعة لروما، وكانت الأغلبية العظمى من المسيحيين داخل الإمبراطورية البيزنطية تنتمي للكنيسة الرسمية للقسطنطينية التي كانت عقيدتها تتطابق مع عقيدة الكنيسة الرومانية باستثناء ((مبدأ الفيليوك))[xxiv] الذي يشوبه الغموض لدى هذا الأخيرة على ذلك فان اكبر عدد من نصارى الشرق كانوا تابعين لكنائس أخرى انفصلت عن روما وكذلك عن القسطنطينية منذ زمن بعيد فالموارنة الذين تجمعوا في لبنان والنساطرة في العراق واسيا الوسطى وفي المناطق الممتدة من أرمينيا إلى مصر، الكنيسة الأرمينية القومية والكنيسة اليونانية والكنيسة اليعقوبية السريانية اللغة[xxv]، فقد ساعد الخلاف بين الكنائس الشرقية على قيام الدويلات الصليبية الكاثوليكية في الشرق، خاصة وان العداء المذهبي قد بلغ أشده بين البيزنطيين والأرمن السريان (اليعاقبة) في هذا الوقت، مما جعلهم جميعاً يتعرضون لكارثة مشتركة، استفاد منها الصليبيون الغربيون الكاثوليك ويسر زحفهم إلى المشرق[xxvi] .

DOI: 10.33687/jshss.002.02.0013
This is an open access article under the CC-BY-NC-ND license.

ومن جهة أخرى فان الخلاف بين مسيحي الشرق جعل أمراء الأرمن الذين جردهم البيزنطيون من أملاكهم، وحازوا مقابل ذلك ضياعاً في قبادوقيا ولاسيما في الجنوب صوب جبال طوروس وصحبهم إلى تلك الجبال عدد كبير من حواشيهم[xxvii] ولم تلبث هذه الأقاليم أن شهدت حركة إحياء أرمنية فريدة من نوعها وبالغة الأهمية، لأنها تفسر لنا السهولة التي استطاع بها الصليبيين الوصول إلى الجزيرة الفراتية وبلاد الشام والاستيلاء على الرها وأنطاكيا[xxviii]،إن هذا التجمع جعلهم يكونون قوة مناهضه للبيزنطيين ويتضح دورهم من خلال الدعم الذي قدمه الأرمن للحملة الصليبية عندما وصلت أراضيهم وهكذا مهد حكم الأرمن في شرقي أسيا الصغرى وأطراف العراق والشام لحكم الصليبيين الغربيين للمنطقة فيما بعد[xxix]، من خلال إضعافهم لدور المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي بسبب تعاونهم مع الغزو .

وان الصراعات بين نصارى الشرق أخذت تنسحب على العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية وكنيسة روما فلما حل الكسيوس كومنين سنة (1081م – 474هـ) مكان نقفور في عرش الإمبراطورية كتب رسالة الى البابا يلتمس فيها استرداد ثقة البابا فيه غير انه لم يجد عنده الاستجابة، وجاء أمر سحب الثقة عن الإمبراطور البيزنطي كون الإمبراطور ميخائيل السابع قد وطد علاقته مع البابا جريجوري السابع وعند انتقال العرش إلى اليكسوس بطريقة لا يرضى عنها البابا حجب الثقة عن الإمبراطور البيزنطي، اليكسوس حاول إعادة هذه الثقة ولم يفلح لذلك اتخذ إجراء كردة فعل بان أغلق الكنائس اللاتينية بالقسطنطينية[xxx]، وهذا الإجراء هو الذي شنج العلاقة بين نصارى الشرق والصليبيين خلال تلك الفترة الأمر الذي سبب تأجيل الحملة الصليبية بعض الوقت .

4 . المبحث الثاني : موقف نصارى الشرق من إقامة الإمارة الصليبية الأولى (الرها):

بدأ تعاون المسيحيين الشرقيين مع الصليبيين يتسع نطاقه فبالإضافة إلى البيزنطيين دخل على الخط الأرمن الذين أخذوا يقدمون النصائح للصليبيين ويمدونهم بالإدلاء ليهدوهم إلى أسهل واقصر الطرق لخبرتهم بالمنطقة، وبفضل نصيحة بعض الأرمن المقيمين بالقرب من قونية حمل العساكر معهم من الماء ما يكفيهم حتى يصلوا إلى وادي هرقلة الخصيب[xxxi]، وهنا كان التعاون ثلاثي فبعد ان احتل الصليبيون قرية اوجستا بوليس والقرى المجاورة لها بعد ان هزموا عساكر الأمير العربي حسن، تقرر تسليمها إلى أمير أرمينيا سمعان بناءاً على طلبه على أن يحكمها باسم الإمبراطور[xxxii]وسهل الأرمن في بلاد ليون الأرمني سير جيوش الصليبيين في أراضيهم[xxxiii].

لازال التعاون مستمر بين الفرنجة والبيزنطيين والسكان المحليين من الأرمن فعند تقدم الصليبيين استقبلهم أهالي كومانا وأهالي كوكسن بالترحيب فرحين لقدومهم[xxxiv]، وكانت مناطق وافرة الرخاء والثروة أفاد منها البيزنطيين أن حملوا منها المؤن التي تفيدهم في الرحلة القادمة من سيرهم عبر الجبال، وطلبوا إلى تاتيكيسوسأن يرشح لهم حاكماً يحكم هذه المدن باسم الإمبراطور، وبعد أن وصلت إشاعة إلى الجيش الصليبي مفادها أن السلاجقة قد تركوا أنطاكيا أرسل ريموند كونت تولوز دون أن يخبر بقية الأمراء أرسل خمسمائة فارس بقيادة بطرس كاتيون للإسراع باحتلال مدينة أنطاكية لكن لما بلغوا قلعة للبيالصة، وجدوا إن الخبر كاذب بل إن الترك وصلوا كمدد إلى أنطاكية، فعاد بطرس للحاق بالجيش الصليبي، إلا إن احد فرسانه واسمه بطرس ريكوس مع جماعة من رفاقه استطاع بعد مناوشات مع الترك في المنطقة أن يستولي على بعض القلاع والقرى بوادي روبية، في اتجاه حلب، وذلك بفضل المساعدة القيمة التي لقاها من الأرمن المحليين[xxxv]، ولما وصل الصليبيين إلى مرعش مكثوا فيها أيام بين سكان من الأرمن اطمأنوا لهم ولقوا منهم المودة، وكان يحكم هذه المدينة أمير ارمني اسمه تاتول، كان من قبل موظفاً للبيزنطيين، فقرروا إبقاؤه في وظيفته[xxxvi]، ومع كل هذا التعاون الأرمني مع الصليبيين لابد من الاعتراف بفضل البيزنطيين الذين صاحبوا الحملة، فما كان لهم من خبرة في قتال الترك جعلهم يدلون النصيحة الصادقة، ولو لم يقوموا بإرشاد الصليبيين لما استطاعوا أن يشقوا طريقهم عبر آسيا الصغرى[xxxvii] .

ويستمر جهد العالم المسيحي المتحد، حيث كان البيزنطيون يعملون على تأمين طريق الإمدادات إلى الجيش الصليبي بمساعدة الأرمن سكان منطقة جبال طوروس عبر الطريق الممتد بمحاذاة الساحل إلى سوريا حيث تكون البحرية البيزنطية تبذل الحماية له، إذ أن عند وصول الحملة الصليبية الأولى إلى أسيا الصغرى كانت هناك سلسلة من الأمارات الأرمنية الصغيرة التي تمتد من نهر الفرات الأوسط إلى جوف جبال طوروس، ورغم أن هذه الأمارات الطارئة التي أقامها فلاريت قد تفتت قبل وفاته سنة (1090م– 483هـ)، إلا أن ثوروس لازال يملك الرها، ولازال صهره جبريل يحكم ملطية[xxxviii] .

ويبدو أن الصليبيين قد تنبهوا إلى أهمية دور الأرمن في تقديم المساعدة للحملة بوجه عام وتحقيق مصالحهم الشخصية بوجه خاص إذ إن بلدوين قد اهتم بأمر الأرمن منذ زمن، ففي نيقية وطد علاقته مع ارمني كان بخدمة الإمبراطور البيزنطي يدعى بقراط (شقيق كواسيل)، والتحق بقراط بخدمة بلدوين فكان من قادته، وان بقراط كان يلتمس من بلدوين أن يقدم المساعدة للإمارات الأرمنية الواقعة قرب نهر الفرات، والتي تربطه بها علاقات أسرية[xxxix] . لم يكن بلدوين وحده من وطد علاقاته مع الأرمن فتانكرد عندما هاجم طرسوس أهم مدن قليقية وهزم حاميتها من السلاجقة، توسل سكان المدينة من الأرمن واليونانيين بتانكرد أن يستولي على مدينتهم، وسكان المصيصة كانوا يتلهفون للخلاص من حكم الأتراك[xl] .

DOI: 10.33687/jshss.002.02.0013

This is an open access article under the CC-BY-NC-ND license.

على الرغم من اكتشاف المسيحيون الوطنيون أن الفرنجة القادمين لنجدتهم إنما تحركهم أغراض أخرى وان كانوا في الظاهر يزعمون أنهم يعطفون عليهم، إلا إن وتيرة التعاون الأرمني الصليبي استمرت في تصاعد، إذ كانت الأحوال مؤاتية لبلدوين، فلم يكن لزاماً عليه أن ينتزع من المسلمين إقليماً، لان هذا الإقليم كان فعلاً في أيدي أرمنية موالية، وكان على صلة بأمراء الأرمن، وبفضل بقراط اتصل بشقيقه كواسيل والذي تقع إمارته إلى الشرق من مرعش، وان جبريل الأرمني أمير ملطية التمس من الفرنج المساعدة لتفادي الخطر السلجوقي، أما ثوروس حاكم الرها فكان من المؤكد على اتصال مستمر بالصليبيين، والواقع إن مغادرة بلدوين لقيليقية بناء على رسالة تلقاها من ثوروس تلح في دعوته للقدوم إلى الرها، وذلك إنهم لما شاهدوا جيش الفرنج يقاتل على أطراف بلادهم يقاتل من اجل العالم المسيحي، تصوروا إن الفرصة قد حانت التي طالما التمسوها للاستقلال نهائياً عن السيطرة البيزنطية والتركية، ولذا حرصوا على الترحيب ببلدوين ورجاله باعتبارهم محررين لهم[xli] .

قبل أن يتوجه بلدوين إلى الرها قرر القيام بعدة حركات عسكرية رغم إلحاح ثوروس على بلدوين للقدوم إلى الرها، فبعد أن انظم إلى بلدوين نبيلان من الأرمن مع قوة صغيره لهما وهما (فير، ونيكوسوس) فتح (سنة 1097م– 491هـ) حصنين هما راندوان وتل باشر[xlii]، فجعل مستشاره الأرمني بقراط على حكومة حصن راندوانو الذي يتحكم بالطرق المؤدية إلى أنطاكية، وجعل الأمير الأرمني فير على حصن تل باشر والذي تكمن أهميته في قربه من المخاضة[xliii] المشهورة على نهر الفرات قرقميش[xliv] .

كانت الرها تخضع لحاكم من الأرمن يدعى طوروس (ثوروس) ابن هيتوم، الذي كان ينظر بعين الرضا إلى وصول الصليبيين إلى المشرق الأدنى[xlv]، وقد ساعد الأرمن المسيحيين الذين كانوا يشكلون أكثرية من سكان الأجزاء الشرقية من أسيا الصغرى وشمال الجزيرة الفراتية ومشارف بلاد الشام على فتح المشرق أمام الصليبين[xlvi] . وقد حقق الأمير بلدوين البولوني الذي قاد الصليبيين إلى المشرق باتجاه الرها تقدماً كبيراً بمساعدة هؤلاء الأرمن الذين نظروا إلى الصليبين نظرة ودية رغبة منهم بالخلاص من حكم الأتراك المسلمين[xlvii]، إن الأرمن كانوا دائماً تواقين إلى الحصول على مساعدة الغرب والبابوية، بدليل ما هو معروف من إرسالهم احد الاساقف الأرمن إلى البابا جريجوري السابع لطلب مساعدته عندما بلغهم إن ذلك البابا يفكر في إرسال حملة لمساعدة المسيحيين في الشرق[xlviii].

ومما دفع ثوروس إلى طلب قدوم بلدوين إلى الرها هو ورود أنباء عن وجود حشود إسلامية بإمرة القائد كربوقا السلجوقي أمير الموصل المعروف بخطورته وشدته قد حشدت لنجدت أنطاكية وهو يعلم إن كربوقا بإمكانه إزالة الرها وجميع الإمارات الأرمنية بسهوله، إضافة إلى ذلك إن ثوروس رجلاً مسناً ليس له وريث في إمارته، فخشي أن تضيع الرها من يد المسيحيين[xlix]، لذلك بعث بسفارة إلى تل باشر إلى بلدوين يستعجله بالقدوم ولما تباطأ بلدوين تلقت السفارة تفويضاً بان تزيد في العرض، بان ثوروس سوف يتخذ من بلدوين ابناً ووريثاً له، وسوف يبادر إلى اختياره قسيماً له في حكم بلاده[l]، فدخل بلدوين الرها (في 6 فبراير 1098 –492هـ) واستقبله أهلها وحاكمها ورجال الدين الأرمن بغبطة بالغة، كان بلدوين يرغب أن يحول إمارة الرها إلى إمارة صليبية، وحاكم الرها يرغب أن يحول الصليبيين إلى مرتزقة، وعلى الرغم من هذا التناقض فإنهم يشتركان بعدائهم للإسلام، فتم تبني ثوروس حاكم الرها لبلدوين، ووفقاً لشعائر الأرمن وقتذاك، تقرر أن تجري طقوس احتفال التبني[li] ما يلائم طفل صغير لا شخص مكتمل الرجولة إذ تجرد بلدوين من الملابس حتى وسطه بينما ارتدى ثوروس قميصاً بلغ من الاتساع أن دخل فيه بلدوين واخذ كل من الوالد الجديد والابن الجديد يحك صدره في صدر الآخر وكرر بلدوين هذا الاحتفال مع الأميرة زوجة ثوروس[lii].

ولما كان ثوروس ليس لديه عقب فأصبح الصليبيون الورثة الشرعيين للرها، وجرت مؤامرة إزاحة ثوروس عن الحكم، وتولى بلدين حكم الرها (عام 1098م– 492هـ) كأمارة صليبية[liii]، واستمر تعاون الأرمن من سكان الرها مع الصليبيين زمنا طويلا حيث تأمر أهل الرها من الأرمن مع الصليبيين وسلموا الرها ثانية بعد أن فتحها عماد الدين زنكي حتى عاد ابنه نور الدين محمود وفتحها وأدب الأرمن فيها على خيانتهم[liv].

4 . 1 تغير موقف الأرمن لصالح المقاومة الإسلامية في الرها :

الأرمن من سكان الرها والمناطق المحيطة بها شعروا بأنهم اسقط في أيديهم إذ إن الدعم الذي تمنوه من قبل ليس بهذا الشكل، لذلك حصلت حركة تململ بين صفوف الأرمن بل حتى بين قادة الأرمن[lv]، فقد اكتشف بلدوين وعن طريق بعض الأمراء الأرمن الذين لازالوا موالين للصليبيين مؤامرة من قبل بقراط مستشاره السابق وحاكم راندوان، وأخيه كواسيل ضد بلدوين لشعورهم بان حرية الأرمن قد تعرضت للخطر، وقد حبس بقراط ثم هرب إلى الجبال ثم تبعه أخيه هارباً[lvi]، ورغم إجراءات بلدوين من اجل توطيد العلاقة مع الأرمن بالزواج من أبنت احد الأمراء كونه أرملاً ولم ينجب ولداً، وشجع الفرسان الصليبيين على الزواج من أميرات أرمينيات إقتداءاً به، إلا إن حركة التململ الأرمينية أخذت تظهر شيء فشيء فبعد حركة بقراط اكتشف بلدوين عن طريق احد الأرمن إن أهالي الرها يعدون مؤامرة لاغتياله تمكن من إحباطها، وان

DOI: 10.33687/jshss.002.02.0013
This is an open access article under the CC-BY-NC-ND license.

سبب هذا التوجه لدى الأرمن يعود إلى إن الفرسان الفرنجة عاملوا الأرمن بالازدراء والاحتقار، واكتشف أعيان الرها انه جرى استعبادهم من قبل مجلس الكونت، وان ما يؤدونه من ضرائب إلى بلدوين لم تقل عما كان عليه زمن ثوروس يضاف إلى ذلك إن ضياع الأرمن تقرر منحها للفرنجة القادمين حديثاً فارتبط بهم الفلاحون بما كان معروفاً في الغرب من عرف إقطاعي بالغ المتانة والشدة[lvii] .

5 . المبحث الثالث :موقف نصارى الشرق من احتلال أنطاكيا :

إجراءات حاكم أنطاكيا كانت كفيلة بأن تدفع نصارى الشرق إلى موالاة القادمين، ومن إجراءاته حينما اقتربت الحملة من المدينة، شرع ياغي سيان[lviii] في اتخاذ تدابير شديدة فألقى في السجن البطريك الذي يعتبر رأس أهم جالية في أنطاكية، وقرر طرد عدد كبير من الزعماء المسيحيين، ولاذ آخرون بالفرار[lix] ولما خاف ياغي سيان من الرعايا النصارى في أنطاكية أخرجهم بحجة حفر خندق يحمي المدينة، ولما أرادوا دخول المدينة عند العصر منعهم[lx]، وتركهم يشتركون مع الصليبيين في حصارهم، في حين تحفظ هو على أهلهم وكف أيدي المتطرقة إليهم[lxi]، وكان معظم رعايا ياغي سيان من المسيحيين، من اليونانيين والأرمن والسريان، ولما يكنه السوريون المسيحيون من الكراهية لليونانيين والأرمن سواء، يصح أن يظلوا على ولائهم له[lxii].

يبدو إن المسلمين قد تعرضوا للمسيحيين الشرقيين بالأذى ذلك في المناطق المحيطة بأنطاكية كردة فعل على حملة الصليبيين، مما أدى عند اقتراب الصليبيين إلى مبادرة أهل القرى من المسيحيين إلى قتل الحاميات التركية في المنطقة، كما أجهز السكان المحليون على الحامية التركية في ارتاح وسلموها إلى الصليبيين[lxiii]، وصلت استخبارات الصليبيين إلى داخل أنطاكية المحصنة عن طريق النصارى الشرقيين، إذ لم يجد بوهمند وأصدقاءه صعوبة في التماس الوسطاء الذين يتصلون عن طريقهم بالعدو، فالمبعدون المسيحيون عن المدينة لازالوا على اتصال وثيق بأقاربهم بداخل أسوار المدينة، وبفضل ما تخلل صفوف المحاصرين والمدافعين من ثغرات، وقف الصليبيون على كل ما يقع داخل أنطاكية[lxiv] .

بعد أن فشلت الحملة في الحصول على المؤن والعلف، هلك جوعاً واحد من كل سبعة رجال، وتقرر إرسال الرسل لالتماس الطعام فبلغت بمسيرها جبال طوروس حيث قبل أمراء بيت روبين أن يمدوا الصليبيين بكل ما في وسعهم أن يفعلوه، وجاءت بعض من لدن الرهبان الأرمن المقيمين بأعلى جبال امانوس، بينما عمد المسيحيون المحليون من الأرمن والسريان، إلى أن يجمعوا كل ما يعثرون عليه من طعام وجلبوه إلى المعسكر، ومع إن الحافز لهم لم يكن حب الخير إنما الحرص على الربح إذ تقاضوا عن حمولة الحمار من المؤن ثمانية دنانير، لكنهم ساهموا في إنقاذ الصليبيين من الهلاك جوعاً[lxv] .

بعد أن ضاقت الأحوال بالصليبيين على أسوار أنطاكية كان لابد لهم أن يرسلوا نداء لطلب المدد من الغرب ومن اجل أن يجعلوا هذا النداء اكبر نفوذ وسلطان، صاغه ادمهير باسم بطريك بيت المقدس بعد أن حصل على إذن منه[lxvi] .

كان بوهمند حريص على أن يجعل أنطاكية إمارة خاصة به لذلك عليه ان يدبر أمره قبل احتلال المدينة، وخاصة مع ممثل الإمبراطور الذي له الحق في استلام المدينة وتعيين من يحكمها بعد الاستيلاء عليها وذلك وفق اتفاق القسطنطينية، ففي أوائل (1098م – 492هـ) تخلى فجأة عن الجيش تاتيكسيوس ممثل الإمبراطور البيزنطي[lxvii]، على اثر خطة دبرها بوهمند[lxviii] .

وعندما أرسل المسلمون إمدادات من المؤن إلى أميرأنطاكية ياغي سيان ليعينونه على مواجهة الحصار المفروض على المدينة، واحتاطوا للأمر لحرصهم على وصول هذه الإمدادات إلى أنطاكية بان اعتمدوا على تجار مسيحيين من الأرمن والسريان فسلموا هؤلاء التجار هذه الكمية الضخمة من الأطعمة إلى تانكرد بدل من ياغي سيان[lxix] .

كان ختام الدور الأرمني في احتلال أنطاكية أن باع المدينة رجل من الأرمن يدعى فيروز باعها إلى الصليبيين على أمل أن يمنحوه المال والضياع حسب ما كانوا يمنونه بذلك[lxx]، وعلى رأي آخر إن فيروز هذا لم يكن سوى ارمني اعتنق الإسلام حديثاً وارتقى بالمناصب عند ياغي سيان حتى صار قائد حامية إحدى القلاع المواجهة للصليبيين وكان فيروز حاقداً على ياغي سيان كون الأخير قد فرض عليه غرامة لكونه اختزن القمح، لذلك اتصل فيروز بإخوانه السابقين في الدين (الأرمن) وعن طريقهم وصل إلى تفاهم مع بوهمند، وبمقتضاها وافق على أن يبيع المدينة له[lxxi]، أرسل فيروز ابنه إلى بوهمند، يخطره بأنه على استعداد للقيام بالخيانة، كان فيروز وقتذاك يتولى قيادة القوات المرابطة في برج الأختين الشقيقتين ويشرف على ما يليه من قطاع سور المدينة المطل على خارجها، والذي يواجه قلعة تانكرد، ولذا حث بوهمند على حشد الجيش الصليبي بعد ظهر ذلك اليوم على أن يقوده صوب الشرق، وان يتظاهر بأنه سائر لمنع كربوقا، ثم ينبغي على العساكر بعد حلول الظلام أن تزحف إلى السور الغربي وان يحملوا معهم السلالم التي يرتقون بها إلى البرج، الذي يرقبهم منه، فإذا وافق بوهمند على ذلك، فسوف يبعث إليه مرة أخرى في ذلك المساء ابنه كيما يتخذه رهينة وشارة على انه مستعد، ودخلوا من نافذة بأعلى السور إلى الحجرة التي كان ينتظرهم فيها فيروز فهبطت فئة أخرى منهم إلى داخل المدينة فأثارت السكان

DOI: 10.33687/jshss.002.02.0013

This is an open access article under the CC-BY-NC-ND license.

المسيحيين وبفضل مساعدتهم انفتح باب القديس جورج، والباب الكبير على الجسر، وانحاز إليهم السكان من السريان والأرمن في قتل كل من وقع نظرهم عليه من المسلمين من الرجال والنساء[lxxii] ولم يسلم من ذلك ابن فيروز، وهلك في هذه الفوضى عدد كبير من المسيحيين[lxxiii] .

وتعرضت بيوت المسيحيين والمسلمين من سكان أنطاكية إلى النهب سواء، ولحسن حظ الصليبيين أن تطوع النصارى الشرقيين لخدمتهم بمحض إرادتهم فهذا فيروز يتوسل ليقدم الخدمة للصليبيين ويخون أهل بلده وعلاوة على ذلك يخطط لهم طريقة الهجوم وينفذ معهم ويستنهض الأرمن والسريان للانضمام إليهم ويدفع ابنه ثمن لهذا العمل والسريان والأرمن يدفعون الكثير من مواطنيهم المسيحيين ضحايا خدمة للصليبيين، بل حتى الفلاح أو الحطاب وقيل راعي غنم الأرمني البعيد عن أنطاكية يقطع رأس ياغي سيان بعد أن وجده قريباً من الموت اثر سقوطه عن حصانه لما هرب من أنطاكية ويقدمه إلى بوهمند[lxxiv] .

لما تم احتلال أنطاكية كشف بوهمند صرحتاً عن نيته بالاحتفاظ بالمدينة لنفسه وأيده الأمراء الصليبيين باستثناء ريموند رغم اليمين الذي اقسموه للإمبراطور الكسيوس الا إنهم قرروا خيانة الإمبراطور وعدم تسليم المدينة[lxxv] . وتلك كانت نتائج خطة بهموند عندما استبعد ممثل الإمبراطور من الحملة قبل احتلال أنطاكية .

6 . المبحث الرابع : موقف نصارى الشرق من احتلال بيت المقدس وطرابلس :

صاحب مصر الفاطمي قد وقع في شر أعماله إذ يروى انه راسل الفرنجة للقدوم إلى الشام والسيطرة عليها بعد أن سيطر عليها السلاجقة[lxxvi]، إلا إن وصولهم لم يتم حتى عادت القدس تحت سيطرة الفاطميين في مصر (1098م – 491هـ) فخسر القدس كما خسر العباسيون معظم الشام.

بعد تجربة الإمبراطور البيزنطي مع الفرنجة في أنطاكية، ومدى عدائهم للمسيحيين المحليين، رأى النصارى في فلسطين خيراً لهم ان يكونوا تحت حكم المسلمين من أن يصبحوا تحت حكم الفرنجة، خاصة التابعين للإمبراطور منهم وهم أصحاب المذهب الارثذوكسي الذي يعد نفسه حامياً لهم[lxxvii] وتعامل الإمبراطور بسياسة مع الموقف، فقد عرض على الصليبيين ان ينتظروه حتى يصل إليهم ويقودهم في الزحف نحو بيت المقدس ويتحمل عنهم كل نفقات الحرب وأعبائها لكن الأمراء الصليبيين أصروا على المسير وعدم انتظار الإمبراطور وحجتهم في ذلك إن الإمبراطور جاء عرضه متأخر علاوة على إن الإمبراطور لم يفِ بوعوده فلطالما تركهم في اشد المحن[lxxviii].

يبدو أن النصارى الشرقيين ماضون في تعاونهم مع الصليبيين، فعندما كان جيش الحملة يسير متجهاً إلى بيت المقدس قدم الرسل إلى الأمراء من مدينة بيت لحم، التي التمس سكانها وكلهم مسيحيون من الصليبيين أن يخلصوهم من المسلمين، فأسرع تانكرد وبلدوين لي بور، وركبان من طائفة الفرسان، فاجتازوا التلال إلى بيت لحم، فخرج كل سكان المدينة في موكب، يحملون المخلفات الدينية والصلبان من كنيسة المهد، للترحيب بمنقذيهم ولثم أيديهم[lxxix] .

وعندما قرر أمير بيت المقدس (افتخار الدولة الفاطمي) إخراج النصارى من بيت المقدس بكل طوائفهم[lxxx]، إذ كان من سكان بيت المقدس في تلك الفترة جالية كبيرة من المسيحيين، هؤلاء المبعدين قاموا بدور هام في المستقبل فبعد أن اشتد حر الصيف على الصليبيين خارج أسوار القدس ولا ظل لهم وشحت عندهم المياه بحيث نفقت الحيوانات عطشاً ذلك الدور أنهم أصبحوا أدلاء للصليبيين يرشدونهم إلى مناطق الينابيع والغابات المجاورة[lxxxi] خلال فترة حصار القدس التي دامت شهر ونصف منذ (أول شعبان سنة 492 هـ - تموز 1099م)[lxxxii] حتى تمكنوا من احتلال القدس وقتل خلق كثير من المسلمين وروي أنهم جمعوا اليهود في الكنيسة واحرقوا عليهم[lxxxiii].

ومن أجل بيان موقف نصارى طرابلس والمناطق المحيطة بها من الحملة الصليبية الأولى نعرض ما ذكره المؤرخين عن موقفهم، فيذكر انه شهدت سنة (492هـ /1099م) موقفين متغايرين للنصارى في إمارة طرابلس التي كان يحكمها فخر الملك[lxxxiv] ابن عمار[lxxxv] ، اتسم الموقف الأول بالعداء للمسلمين ومساعدة الصليبيين حسب ما ذكره وليم الصوري وهو يتحدث عن سير الحملة الأولى عند ساحل طرابلس باتجاه بيت المقدس إذ يقول : " كان هناك طائفة معينة من نصارى الشام ... جاء هؤلاء النصارى مهنئين للحجاج ومبدين لهم حبهم الأخوي، ولما كانوا على دراية تامة بالمنطقة وما حولها فقد استدعاهم القادة مستفسرين منهم عن أسلم الطرق وأيسرها إلى بيت المقدس، فصدقهم هؤلاء السوريون القول ودلوهم على الدروب المختلفة المؤدية إلى حيث يقصدون، وبينوا أطولها، ثم زكوا لهم في النهاية طريق الساحل لأنه أقصر الدروب المباشرة إلى وجهتهم، ولأن الحجاج إن سلكوا ما أشاروا به عليهم، أمكنهم الحصول على العون من سفنهم التي سوف تتبع الجيش في تقدمه"[lxxxvi]، إذن فقد رحب هؤلاء النصارى بالصليبيين وقدموا المشورة لهم في الطريق التي عليهم أن يسلكوها، وقدموا لهم الأدلاء والمرشدين[lxxxvii]، وهذا موقف معاد للمسلمين .

أما الموقف الثاني فكان مغاير تماماً، وهو ما اتخذه نصارى جبلة، إذ أظهروا صدق مواطنتهم نحو إخوانهم في الوطن ومساعدتهم لهم في الدفاع عن مدينتهم، فكان لهم الفضل في خداع الفرنجة، ومقتل المئات منهم، وتسليم المدينة بعد

DOI: 10.33687/jshss.002.02.0013
This is an open access article under the CC-BY-NC-ND license.

ذلك لأمير طرابلس ابن عمار، وبقيت بيد المسلمين إلى ما بعد سقوط طرابلس بسنة كاملة، إذ سقطت طرابلس في شهر ذي الحجة (502هـ - 1108م)، وسقطت جبلة في شهر ذي الحجة سنة (503هـ - 1109م)[lxxxviii]، وعن هذا الموقف يروي ابن الأثير ان قاضي جبلة " ابن صُليحة "[lxxxix] كان يعاني من حصار الصليبيين له، فلجأ إلى وضع خطة، ساعده على تنفيذها رعاياه من النصارى، حيث قاموا بمراسلة الصليبيين وواعدوهم إلى برج من أبراج البلد ليسلموه إليهم، فيملكوها عن طريقه، وانطلت الحيلة على الصليبيين فبادروا إلى انتداب 300 رجل من أعيانهم وشجعانهم، فتقدموا إلى البرج المتفق عليه، وقام نصارى جبلة بإدلاء الحبال إليهم، وكمن " ابن صُليحة " عند السور، فصار كلّما طلع واحد منهم أخذوه إليه فقطع رأسه، حتى قتل الثلاثمائة جميعاً، وفوجئ الفرنجة في صباح اليوم التالي برؤوس رفاقهم وهي مصفوفة على السور، ثم قام جند " ابن صُليحة " بإلقائها عليهم، وأعقب ذلك معركة جرت بظاهر أسوار جبلة تمكن فيها أهلها من كسر الصليبيين وأخذ مقدّمهم أسيراً[xc].

وتجدر الإشارة إلى استمرار ريموند بصداقته مع الإمبراطور البيزنطي من اجل أن يساعده في إقامة إمارة صليبية له في الشام، أسوة بأقرانه من أمراء الحملة الصليبية، وكانت طرابلس هي الهدف الذي ينشده ريموند إذ كانت رابع اكبر مدينة في الشام في ذلك الحين التي احتلها الصليبيين سنة (503 هـ -1109م) بعد حصار لسنين[xci] وقد قتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال، ثم احتلوا جبلة بعدها بعدة أيام[xcii].وعلى الرغم من إن وفاته كانت قبل إقامة إمارة طرابلس إلا انه يعتبر واضع أسس قيام هذه الإمارة بفضل تعاون الإمبراطور والنصارى المحليين معه[xciii] .

النتائج :

تعد صفحة الحروب الصليبية من الصفحات المهمة في تاريخ الصراع بين الشرق والغرب، وتعد الحملة الصليبية الأولى الأهم من بين حملات الصليبيين، وبقدر أهمية الحملة الصليبية الأولى كان أهمية دور نصارى الشرق في هذه الحملة، فان الأهمية التي اتخذتها هذه الحملة ناتجة من المكاسب والانتصارات التي حققتها هذه الحملة، ولولا نصارى الشرق ما كانت هذه الحملة لتحقق كل هذا النصر ويمكن إجمال دور نصارى الشرق وما تبين من ملاحظات في البحث في ضوء النتائج التالية :-

1. إن المؤرخين من النصارى يركزون على نعت السلاجقة المسلمين بالترك فقط محاولين بذلك التركيز على قومية السلاجقة دون دينهم، وعدم الربط بين الأتراك والإسلام محاولين الإيحاء للمسلمين أن الترك لا علاقة لهم بالإسلام وان التهم الموجه ضدهم أو الوصف الذي يصفونهم به من اضطهاد للنصارى وسلب الحجاج النصارى وقتل وقطع طرق لا يسيء للإسلام، والحقيقة إن النتيجة واحدة إذ لا يمكن سلخ السلاجقة عن الإسلام ولهم كل ذلك التاريخ المشترك مع المسلمين، وان الإساءة للسلاجقة هي إساءة للإسلام في الوقت نفسه .
2. إن المسلمين عندما فتحوا بلاد الشام في زمن الخلفاء الراشدين وما تلاها من فتوحات في آسيا الصغرى، كان فتحاً سياسياً فقط، بعد فتح أي مدينة يجري تغيير حاكمها النصراني بآخر مسلم وتترك حامية من الجيش المسلم في المدينة، لكن قلوب أغلب السكان لم تفتح للإسلام وبقى سكان هذه البلاد يحتفظون بنصرانيتهم، إذ إن معظم سكان هذه المدن كان من النصارى سوى كان بيت المقدس أو أنطاكية أو الرها أو غيرها، وان معظم سكان ريف هذه المدن من النصارى أيضا، هذا الأمر كان له الأثر في نجاح الحملة الصليبية إذ إن معظم الشعب موالي لهم فما عليهم إلا تغيير الحكم السياسي في هذه البلاد، وتجدر الإشارة إلى إن المسلمين لم يحاولوا فرض دينهم على السكان المحليين .
3. لعب النصارى المحليون وخاصة منهم الأرمن دورا كبيرا في نجاح الحملة الصليبية الأولى لما بذلوه من جهد ومال وأرواح في سبيل نجاح هذه الحملة فقد كانوا مع الحملة خطوة بخطوة يمدون الجيش بالمؤن ويدلونه على أيسر الطرق ويوجهون له النصح عند الحاجة وكانوا جواسيس وعيون للصليبيين يجلبون لهم أخبار المسلمين وتحركاتهم أول بأول وسلموا المدن والقرى التي كانت تحت حكمهم للصليبيين عن طيب خاطر، وجلبوا لهم الطعام والماء عند الحاجة لذلك، ففي كثير من الأحيان قدموا كل ما يستطيعون من اجل إخوانهم في العقيدة والدين، وباعوا شركائهم في الوطن بدون مقابل .
4. إن نصارى الشرق قدموا التضحيات من اجل أن ينالوا استقلال تام ويولون حكم هذه البلاد بأنفسهم بعد أن يتم احتلالها من قبل الصليبيين وتسليمها لهم، لكن ذلك لم يكن إلا أماني فان الصليبيين عندما احتلوا البلاد وحكموها بأنفسهم وأقاموا فيها إماراتهم الصليبية الخاصة بأمرائهم واستعبدوا سكان البلاد وحكموهم وفق مبدأ الإقطاع الشائع في أوربا زمن الحروب الصليبية، فبعد أن كانوا رعايا للمسلمين لهم كافة الحرية في العبادة والعمل والتصرف تحولوا إلى أقنان لدى الصليبيين يسومونهم سوء العذاب .

DOI: 10.33687/jshss.002.02.0013

This is an open access article under the CC-BY-NC-ND license.

5. الإمبراطور البيزنطي خطط ومهد كي يجعل من الصليبيين القادمين إلى الشرق أداة بيده يدفع بها خطر السلاجقة المسلمين عن القسطنطينية ويسترد بها ممتلكات إمبراطوريته المفقودة، ويفتح البلاد لتكون ملكاً إضافياً له، لكن أمراء الصليب ما كانوا ليخضعوا للإمبراطور البيزنطي، ورغم أنهم دفعوا خطر السلاجقة عن القسطنطينية وأعادوا بعض ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية إلا أنهم ما أن تمكنوا من الأرض حتى تمردوا على الإمبراطور واخذوا يعملون لحسابهم الخاص وأقاموا أمارات صليبية خاصة بهم وان الإمبراطور رغم انه بهذا العمل حافظ على وجود الإمبراطورية البيزنطية في زمنه إلا انه فتح الباب للتدخل الصليبي في إمبراطوريته الذي استولي عليها في نهاية المطاف وجعلها ضمن أملاك كنيسة روما سنة (1204 م– 601هـ) .

6. إن البابوية التي وضعت إستراتيجية بعيدة المدى من خلال تسيير الحملات الصليبية كانت استراتيجيتها في اتجاهين الأول إعادة البلاد التي كانت تحت حكم النصرانية قبل الفتح الإسلامي إلى سيطرة البابوية، والثاني إعادة الكنيسة الشرقية إلى حظيرة البابوية بعد أن انشقت عنها في القرن الحادي عشر الميلادي، وقد نجحت حملتها الصليبية الأولى في تحقيق الهدف الأول ونجحت حملتها الصليبية الرابعة في تحقيق الهدف الثاني.

---

1 - الكلدانيين وهم السريانيون المسمون النبط، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والإشراف، بلا تاريخ، بلا ناشر ، 1 / 171 .

[ii] - المسعودي، التنبيه والإشراف، 1 / 171 .

3 - ابن عساكر، لإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (499 هـ - 571 هـ)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الاماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 66 / 58 .

[iv] -جوزيف نسيم يوسف، في تاريخ الحركة الصليبية، دار المعرفة، مصر 1989، ص28 ؛ شكري محمود نديم، الحروب الصليبية، بغداد، 1967، 17 .

[v] جوزيف نسيم يوسف، في تاريخ الحركة الصليبية، 21 .

[vi] جوزيف نسيم يوسف، في تاريخ الحركة الصليبية، 21.

[vii] - فليب حتي، العرب تاريخ موجز، دار العلم للملايين، بيروت 1946، 217 .

[viii] - شكري محمود نديم، الحروب الصليبية، 20.

[ix] جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الحركة الصليبية، 51 .

10 - سلسلة جبال طوروس الأرمنية على حدود العراق الشمالية، في حين تمتد أرمينيا الصغرى إلى الغرب من منابع نهر الفرات. وتبلغ مساحة أرمينيا العظمى وأرمينيا الصغرى معاً، حسب بعض fلمؤرخين، نحو 358 ألف كيلومتر مربع، وهي تعادل نحو اثني عشر ضعف مساحة جمهورية أرمينيا الحالية، ابن الوردي، سراج الدين ابن الوردي، عجائب البلدان أن خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق وتعليق وتقديم أنور محمود زناتي، جامعة عين شمس، 1 / 76 الهامش .

[xi] - ستيفن نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، دار الثقافة، بيروت 1967، 1 / 95 .

[xii] نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 112-113 .

[xiii] كولد كاهن، الشرق والغرب في زمن الحروب الصليبية، ترجمة احمد الشيخ، ط1 سينا للنشر، القاهرة 1995، 44 .

14 - أتسز بن محمد بن أنوشتكين الملك خوارزم شاه، كان عادلاً كافاً عن أموال الرعية محباً إليهم وكان تحت طاعته السلطان سنجر شاه، أصابه فالج فعالجوه بكل ما أمكن فلم يبرأ فأعطوه حراراتٍ عظيمة بغير علم الطب فاشتد مرضه وخارت قواه ومات سنة إحدى وخمسين وخمس مائة، وكان يقول عند الموت: " ما إني عني ماليه، هلك عني سلطانيه "، وملك بعده ابنه أرسلان. الكتاب : الصفدي، الوافي بالوفيات، بلا ناشر، بلا تاريخ، 285/2.

[xv] - كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، 47 .

[xvi] - نرسيمان، الحروب الصليبية، 1 / 117 .

[xvii] - نرسيمان، الحروب الصليبية، 1 / 121. فليب حتي، العرب، 218 .

[xviii] - شكري محمود نديم، الحروب الصليبية، 21 .

[xix] - كلود كاهن، الشرق والغرب في زمن الحروب الصليبية . 46 .

[xx] - كلود كاهن، الشرق والغرب في زمن الحروب الصليبية، 49 .

[xxi] - نرسيمان، الحروب الصليبية، 1/ 104 .

[xxii] - نرسيمان، الحروب الصليبية، 1/ 116 .

[xxiii] - كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، 50 .

DOI: 10.33687/jshss.002.02.0013

This is an open access article under the CC-BY-NC-ND license.

[xxiv] - الفيليوك : تعني حرفياً ((والابن)) وهي بدعة ظهرت لمعارضة الغوط الغربيين الذين تأثروا بالأريوسية التي تنكر وحدة جوهر الأقانيم الثلاثة، لذلك ظهرت هذه البدعة التي تقول بانبثاق الروح القدس عن الرب والابن وانتشرت في البداية في بلاد الغال (فرنسا) وجرمانيا، وأقرها شارلمان، كما سمح البابوات باستخدام هذه الاضافة الرمزية غير انهم رفضوا إقرارها قبل القرن الحادي عشر، وكانت موضع خلاف بين المسيحيين الشرقيين والبابوية (المترجم)– انظر كلود كاهن،الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، 45 الهامش .

[xxv] - كولد كاهن،الشرق والغرب في زمن الحروب الصليبية، 45 .

[xxvi] - خاشع المعاضيدي واخرون، الحروب الصليبية، بغداد، 1981، 29.

[xxvii] - نرسيمان، الحروب الصليبية، 1/ 112-113 .

[xxviii] - عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، ط5، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1999، 1 / 83 . خاشع المعاضيدي واخرون، الحروب الصليبية، 26-27 .

[xxix] - المعاضيدي، الحروب الصليبية ، 27.

[xxx] - نرسيمان، الحروب الصليبية، 1/ 150.

[xxxi] - عاشور: سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، 1 / 136 . نرسيمان تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 268 .

[xxxii] - نرسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 270 .

[xxxiii] - الذهبي : شمس الدين محمد بن قايماز (ت748 هـ)، تاريخ الإسلام , ط2 مطبعة جمعية المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكان، الهند 1364هـ، 3431 .

[xxxiv] - الصلابي : محمد علي، دولة السلاجقة، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الاولى، (2006م)، 522 .

[xxxv] - نرسيمان، تاريخ الحروب الصليبية،1 / 271-272 .

[xxxvi] - نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 273 .

[xxxvii] - نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 274 .

[xxxviii] - نرسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 275-277 .

[xxxix] - نرسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 280 .

[xl] - عاشور : سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، 1 / 142. نرسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 281-283 .

[xli] - نارسيمان تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 287-288 .

42- تل باشر الشين معجمة قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب بينها وبين حلب يومان وأهلها نصارى أرمن ولها ربض وأسواق وهي عامرة آهلة، الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر – بيروت،40/2 .

43- خاض الماءَ يَخُوضه خَوْضاً وخِياضاً واخْتاضَ اخْتِياضاً واخْتاضَه وتَخَوَّضَه مَشَى فيه والخَوْضُ المَشْيُ في الماء والموضع مَخاضةٌ وهي ما جازَ الناسُ فيها مُشاةً ورُكْباناً وجمعها المَخاضُ والمَخاوِضُ أَيضا، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، 147/7 .

[xliv] - نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 /289 .

[xlv] - عاشور : سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، 1 / 147.

[xlvi] - المعاضيدي، خاشع واخرون، تاريخ الوطن العرب والغزو الصليبي، بغداد، 1981 ، 35 .

[xlvii] - المعاضيدي، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي ، 35 .

[xlviii] - عاشور : سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، 1 / 145 .

[xlix] - عاشور : سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، 1 / 148 .

[l] - نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 289 . عماد الدين خليل، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي، دار ابن كثير،ط1،بيروت، 2005، 81.

[li] - عاشور : سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، 1 / 149 .

[lii] - نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 290-291 .

[liii] - المعاضيدي، تاريخ الوطن العربي ، 36 . نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 293 .

[liv] - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، طبعة بيروت، دار الكتب اللبنانية 1956-1959م، 5 / 280 .

[lv] - عماد الدين خليل . المقاومة الاسلامية، 110 .

[lvi] - نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 290 .

[lvii] - نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 296-299 .

[lviii] - كان والي أنطاكية " ياغي سيان " من التركمان، ويتمتع بدرجة عالية من الكفاية، إلا أن الخلافات والحروب التي كانت بين الأخوين دقاق ورضوان ابني تتش بالشام - وانحياز ياغي سيان إلى هذا مرة وذاك مرة أخرى حرمه من مساعدة أمير حلب، عندما داهمه الغزاة، السلاجقة، محمد علي الصلابي، 2 /226 .

[lix] - نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 303 . خاشع المعاضيدي واخرون، الحروب الصليبية، 37-38 .

DOI: 10.33687/jshss.002.02.0013

This is an open access article under the CC-BY-NC-ND license.

[lx] - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 5 / 186 . الذهبي، تاريخ الاسلام، 3431 .

[lxi] - الذهبي، تاريخ الاسلام، 3431 . ابن الاثير : ابو الحسن عز الدين، الكامل في التاريخ، دار الطباعة، القاهرة 1290هـ، 103/10 (حوادث سنة 491هـ) . عاشور : سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، 157/1 .

[lxii] - نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 /303 .

[lxiii] - نرسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 305 .

[lxiv] - نرسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 309-310 .

[lxv] - نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 314 .

[lxvi] - نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 317 .

[lxvii] - نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 317-318 .

[lxviii] - عاشور : سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، 1 / 161 .

[lxix] - نرسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 325 .

[lxx] - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 5 / 186 . الذهبي . تاريخ الاسلام، 3431 .ابن القلانسي : ابو يعلي حمزة، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق آمدروز، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908، 135 . ابن كثير : ابي الفداء اسماعيل، البداية والنهاية، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، 2003، 12 /133 . خاشع المعضيدي واخرون، الحروب الصليبية، 40 . الصلابي، دولة السلاجقة، 527 . عماد الدين، المقاومة الاسلامية، 84.

[lxxi] - عاشور : سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، 1 /166 . نرسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 328-329 .

[lxxii] - عاشور : سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، 1 / 167 . عماد الدين، المقاومة الاسلامية، 84.

[lxxiii] - نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 331-332 .

[lxxiv] - الذهبي، تاريخ الاسلام، 3431 . ابن كثير، البداية والنهاية، 12 / 133 . ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 5 / 186 . عماد الدين، المقاومة الإسلامية، 84 . نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 /333 .

[lxxv] - نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 354-355 .

[lxxvi] - السيوطي : جلال الدين بن عبد الرحمن (ت911هـ)، تارخ الخلفاء ,ط2 , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1956، 368 . الذهبي، تاريخ الاسلام، 3431 . الخضري : محمد , الدولة العباسية , تحقيق ابراهيم امين محمد , المكتبة التوفيقية، 514 .

[lxxvii] - نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 384 .

[lxxviii] - عاشور : سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، 1 / 189-190 .

[lxxix] - عاشور : سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، 1 / 196 . نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 /391.

[lxxx] - عاشور : سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، 1 / 196 . خاشع المعاضيدي واخرون، الحروب الصليبية، 45 .

[lxxxi] - نارسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1 / 399 .

[lxxxii] - الذهبي، تاريخ الاسلام، 3432 . ابن كثير، البداية والنهاية، 12 /134 .

[lxxxiii] - السيوطي، تاريخ الخلفاء، 368 .

84- فخر الملك * ابن عمار، صاحب طرابلس، كان من دهاة الرجال وأفراد الزمان شجاعة وإقداما ورأيا وحزما، ابتلي بلده بحصار الفرنج خمسة أعوام، وهو يقاومهم، وينكي في العدو، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، سير أعلام النبلاء، المحقق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، 19 / 311 .

[lxxxv] - عمر عبد السلام تدمري، لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين [القسم السياسي]، طبعة دار الإيمان، طرابلس 1994، 189 وما بعدها .

[lxxxvi] - وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة د. حسن حبشي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992، 62/2-63 .

[lxxxvii] - وليم الصوري، الحروب الصليبية، 2 /195 .

[lxxxviii] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8 /579 .

[lxxxix] - ابن صليعة الامير القاضي، أبو محمد عبيد الله بن صليعة بن قاضي جبلة، كانت جبلة لصاحب طرابلس ابن عمار، فتعاني ابن صليعة - ويقال: ابن صليحة - الفروسية، وخاف منه ابن عمار، فعصى بجبلة وتملكها، وحصنها إلى الغاية، وخطب لبني العباس، ثم حاصره الفرنج، سير اعلام النبلاء، الذهبي، 19 / 298 .

[xc] - ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 8 /446-447 .

[xci] - السيوطي، تاريخ الخلفاء، 368 .

[xcii] - ابن كثير، البداية والنهاية، 12 / 147 .

[xciii] - عاشور : سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، 1 / 276-280 . خاشع المعاضيدي وآخرون، الوطن العربي والغزو الصليبي، 51 .

DOI: 10.33687/jshss.002.02.0013

This is an open access article under the CC-BY-NC-ND license.